حرية الرأي والتعبير في الفكر الإعلامي الإسلامي

(دراسة نظرية تأصيلية)

Freedom of speech and expression in media Islamic thought

(Authenticated and analytical study)

أ.د. أيمن محمد عبدالقادر الشيخ*

Prof. Ayman Mohamed Abdelgadir Elshaikh

DOI: 10.52981/cs.v8i1.3045

المستخلص:

تأتي أهمية موضوع البحث ودوافع اختياره في إطار تعزيز الدراسات المعاصرة بالفكر الإعلامي الإسلامي وصلتها بحرية الرأي والتعبير، بالإضافة إلى الحاجة الماسة للتأصيل الإعلامي فكراً وممارسةً وتأثيراتها الإيجابية على واقع المسلمين في العالم، كما يمثل إضافة جديدة للمكتبة الإنسانية.

وتتمثل مشكلة البحث في سؤال رئيس مفاده: كيف ينظر الفكر الإعلامي الإسلامي إلى حرية الرأي والتعبير؟ وكيف يمكن بناء رؤية ــ تأصيلية مستقبلية لتعزيزه؟

ويهدف البحث إلى التعرف على ماهية الفكر الإعلامي الإسلامي ومنطلقاته، وإبراز أهم التشريعات الإعلامية الإسلامية وصلتها بحرية الرأي والتعبير، بالإضافة إلى بناء رؤية تأصيلية مستقبلية لتعزيز الفكر الإعلامي الإسلامي تجاه حرية الرأي والتعبير، ويقوم البحث على المنهج الوصفي الذي يوصف المفاهيم، ويشرحها ويفسرها ويحللها، كما يقوم على المنهج الاستقرائي الاستنباطي، والذي يقوم على استقراء الواقع، واستنباط الرؤى العلمية والعملية، بالإضافة إلى استخدام الملاحظة كأداة للتحليل.

وأهم النتائج التي تم التوصل إليها أن التراث الإسلامي في مجال حرية الرأي والتعبير وتجديد الخطاب الدعوي والإعلامي كفيل بحل المعضلات والأزمات التي تعاني منها

* الأستاذ بقسم الإذاعة والتلفاز – كلية الدعوة والإعلام – جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية – السودان.

الإنسانية؛ بالإضافة إلى أن الإعداد النفسي والتربوي للإعلامي يسهم إيجاباً في تطبيق ممارسة حرية الرأي والتعبير مهنياً ووظيفياً.

الكلمات المفتاحية: الفكر الإسلامي، الإعلام الإسلامي، حرية الرأي والتعبير في الإسلام، حرية التفكير والتعبير، الخطاب الإعلامي.

Abstract:

The researcher tackles the freedom of speech and expression in the light of media Islamicthought,the researcher proceeded the importance of the research and the reasons behind choosing it. In addition to the urgent need for intellectuals working in the field to authenticate the discipline and its positive impact on the reality of Muslims in the world, the researcher also considered it as a new additional aspect for human library.

The research problem is embedded in a fundamental question: How does the Islamic media thought views the freedom of speech, and how can a future vision be built to promote it? As the research aims to recognize what is the Islamic media thought! And its principles. The research highlighted some legislations ruling it and its relation to the freedom of speech as well as building future view on promoting Islamic media thought and its effect on freedom of speech.

The research based on descriptive method that describes, explains and analyze concepts, the researcher also has used the tool of observation.

The most important findings are that Islamic heritage is rich with freedom of speech and expression, media discourse should be authenticated to address crises and dilemmas that humanity face. The psychological and educational preparation of the media contributes positively to the professional and functional application of the exercises of freedom of speech.

Keywords: Islamic thought, Islamic media, Islamic media thought, freedom of speech in Islam, freedom of thought and expression,, media discourse.

المقدمة:

تعتبر حرية الرأي والتعبير حقاً إنسانياً فطرياً في المنظور الإسلامي ما دام أن هذا الحق لا يسيء لأحد ولا يضر بمصلحة عامة أو خاصة، ويشكل هذان المصطلحان – في نظر كثير من العلماء والباحثين المسلمين في مجالي

الفكر والإعلام الإسلامي- مجالاً خصباً في بناء تصورات منهجية ومقاربات تستمد أصولها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

وهذا من شأنه إحياء روح الاجتهاد النظري الفكري والتطبيقي الإعلامي لمواجهة التعقيدات والأزمات، ولاسيما المعاصرة منها، وعند النظر لحرية الرأي والتعبير من منظور الفكر الإعلامي الإسلامي تتجلى العلاقة بين العلوم الاجتماعية خاصةً بين الإعلام والفكر الإسلامي والشريعة والقانون؛ والذي يتطلب من الباحثين النظر فيها وربطها بالواقع.

كما تتبين هذه النظرة في البحث في موقف الفكر الإعلامي الإسلامي من حرية الرأي والتعبير خاصةً حينما تكون العلاقة مع الآخر غير المسلم؛ والتي تجمعه معه الكثير من القيم الإنسانية المشتركة.

أهمية موضوع البحث ودوافع اختياره:

1/ تعزيز الدراسات المعاصرة بالفكر الإعلامي الإسلامي، وصلتها بحرية الرأي والتعبير.

2/ الحاجة الماسة للتأصيل الإعلامي فكراً وممارسةً، وتأثيراتها الإيجابية على واقع المسلمين في العالم.

3/ إضافة جديدة للمكتبة العلمية الإنسانية.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في السؤال الرئيس مفاده: كيف ينظر الفكر الإعلامي الإسلامي إلى حرية الرأي والتعبير؟ وكيف يمكن بناء رؤية ــ تأصيلية مستقبلية لتعزيزه؟.

أهداف البحث:

1- التعرف على ماهية الفكر الإعلامي الإسلامي ومنطلقاته.

2- إبراز أهم التشريعات الإعلامية الإسلامية وصلتها بحرية الرأي والتعبير.

3- بناء رؤية تأصيلية مستقبلية لتعزيز الفكر الإعلامي الإسلامي تجاه حرية الرأي والتعبير.

منهج البحث:

يقوم البحث على المنهج الوصفي الذي يوصف المفاهيم، ويشرحها ويفسرها ويحللها، كما يقوم على المنهج الاستقرائي الاستنباطي، والذي يقوم على استقراء الواقع، واستنباط الرؤى العلمية والعملية، بالإضافة إلى استخدام الملاحظة كأداة للتحليل.

الفكر الإعلامي الإسلامي وحرية الرأي والتعبير:

قبل الحديث عن ماهية الفكر الإعلامي الإسلامي ومنطلقاته لابدّ أن نبيِّن ثلاثة جوانب وهي: تعريف الفكر، وبيان الفكر الإسلامي، وتحديد مفهوم الإعلام الإسلامي؛ وذلك لبناء تصور مفهومي حول الفكر الإعلامي الإسلامي. والفكر هو إعمال الخاطر في الشيء[1].

أمّا الفكر الإسلامي فله تعريفات عديدة أهمها:

1- الفكر الإسلامي هو الذي ينطلق من الأصول الإسلامية، من مصادر الإسلام ومقاصده وقيمه ولا يختلف معها في مقوماته ومناهجه وضوابطه[2].

2- الفكر الإسلامي هو المنهج الذي يفكر به المسلمون، أو الذي ينبغي أن يفكروا به، وما ينتج عن هذا المنهج منبثق من نظرة الإسلام العامة إلى الوجود ومتوافق مع قيم الإسلام ومعاييره ومقاصده[3].

3- الفكر الإسلامي هو مجموع ما أنتجه العقل المسلم بعد تفاعله مع الإسلام والثقافة الإسلامية[4].

4- الفكر الإسلامي هو ذلك التصور الخاص بالإسلام عن الكون، والإنسان، والحياة، ومنه تنطلق الثقافة الإسلامية في حركتها الواعية لبلوغ أهداف دين الإسلام ومراميه[5].

5- الفكر الإسلامي هو من المفاهيم الحديثة التي راج استعمالها في الأدبيات المشكلة للخطاب العربي والإسلامي المعاصر، وهو بذلك مجموع الموضوعات التي تخاطب العقل البشري وتدفعه إلى إعمال النظر، والتأمل، والتَّفكر، والاستنتاج والبحث، فيما يتعلق بعلوم الشريعة وقضايا العقيدة والقيم والاتجاهات الحضارية والاجتماعية وغيرها، كل ذلك من وجهة نظر إسلامية مؤسسة على خلفية عقدية ثابتة: القرآن الكريم والسنة النبوية[6].

ويتبنى الباحث التعريف الأخير لأنه أشمل؛ فالفكر الإسلامي عبارة عن كل ما بناه أو تصوره أو أنتجه العقل المسلم وفقاً للمنهجية الإسلامية المبنية على الشريعة الإسلامية وتعاليمها. وبذلك يمكن الخروج من الحرج الذي قد يعتري البعض لإدخال مفهوم الفكر الإسلامي في إطار فلسفي أو عقدي لا يبنى على الإسلام.

أما ما يتعلق بالإعلام الإسلامي فتذخر كثير من كتابات الباحثين والمهتمين في مجال الإعلام الإسلامي بالعديد من التعريفات والمفاهيم المتعلقة به، وترجع هذه الكتابات إلى التراث العربي والإسلامي إلى جانب التأصيل في هذا الحقل المهم من حقول العلوم الإنسانية.

ويرى بعضهم أن تعريف الإعلام الإسلامي يخضع للاعتبارات التالية[7]:

1- لكي نحدد مفهوم الإعلام الإسلامي بدقة وموضوعية لابد أن نفرق أولاً بين أصل الموضوع في جوهره وحقيقته من جانب، وبين صورته التي هو عليها حين نراه وحين نعاصره من جانب آخر.

2- إن المجتمع الإسلامي الذي يطبق الشريعة الإسلامية مجتمع شمولي من حيث العقيدة، ومتكامل من حيث التنظيم والإعلام لابد أن يعكس شمول العقيدة وتكامل البناء الاجتماعي.

بينما يرى آخرون أن تعريف الإعلام الإسلامي يتحدد في إطارين هما[8]:

1. **الإطار العام:** حيث يعرف بأنه الإعلام الذي يعكس الروح والمبادئ والقيم الإسلامية، ويمارس في مجتمع إسلامي، ويتناول كافة المعلومات والحقائق والأخبار المتعلقة بكافة نواحي الحياة السياسية.
2. **الإطار الخاص:** حيث يعني هذا الإطار أن الإعلام الإسلامي إعلام موجه لهدف نشر كلمة الدين وإعلائه، ومعالجة القضايا الدينية، والعمل على إعداد رأي عام إسلامي يعي الحقائق الدينية، ويدركها ثم يتأثر بها في جميع تصرفاته.

إن تعريف الإعلام الإسلامي تعريف شامل؛ من حيث المفاهيم والأطر والمحددات يأخذ من الإطارين (العام والخاص) الرؤية، ويقدم- من خلال القيم والمبادئ- أفكاراً متجددة لإشكالات العصر، بمعنى آخر هو الإعلام الذي يواكب المتطلبات العصرية وواقع الأمة بأساليب ووسائل وأدوات إعلامية حديثة وفق قيم الإسلام وضوابطه.

ويمتاز الإعلام الإسلامي بمجموعة من السمات والخصائص تتمثل في التالي[9]:

1. **قاعدته الحرية وقيمته المسؤولية:** اعتمد النظام الإسلامي الحرية أساساً، ذلك أن الإسلام فطرة والحرية فطرة، ومن ثم فلا مجال لمصادرة هذه الفطرة أو استئصالها.
2. **حرمات وحقوق:** وهي ضوابط ليس عن هوى حاكم، أو استبداد نظام إنما تعد بالدرجة الأولى – حفاظاً على حرية الآخرين وحرمتهم وكرامتهم.
3. **التزام أخلاق الإسلام:** هذا تخصيص نشير فيه إلى وجوب أن يشيع في الإعلام بفروعه وصنوفه الصدق، والعفة، والأمانة والحياء وسائر أخلاق الإسلام تشيع بثاً، وتشيع تعاملاً، وقدوة إلى الناس، وقيمة الإعلام الإسلامي الأساسية لا تتمثل في الفهم المعاصر لقيمة الحرية والحقوق والواجبات

والأخلاق فحسب، بل لما يرتكز عليه من مرجعية أصيلة تتمثل في كتاب الله وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

إن عامل الدين هو العنصر الذي يستمد منه الإعلام الإسلامي قوته وتأثيره الإقناعي، وتثبت كفاءته بمدى توظيفه التوظيف الأمثل في هذا الاتجاه. ويتعاظم إسهام الإعلام الإسلامي في الوقت الحاضر من خلال ارتباطه بالفكر الإسلامي؛ فهما متلازمان، فالفكر الإسلامي يحتاج إلى إعلام واع يعبر عنه. والباحثون والمهنيون في مجال الإعلام الإسلامي يحتاجون إلى وعي وتخطيط ودراية وإيمان بأهمية التفكير الإسلامي في إعداد والرسالة الإعلامية وصياغتها لتحقيق غاياتها ومقاصدها الكلية.

ومن خلال ما أوردته من تفصيل للفكر الإسلامي، والإعلام الإسلامي؛ يمكن التوصل لماهية الفكر الإعلامي الإسلامي بأنّه: كل ما أنتجه العقل الإعلامي من تجارب وخبرات مستمداً من مصادر التشريع الإسلامي فكراً ومنهجاً؛ وموظِفاً للطرق، والأساليب، والوسائل، والأدوات الإعلامية تجاه التعامل مع الأحداث والقضايا، والغاية المرجوة هي تحقيق قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. سورة الأنعام الآية 162.

كما ينطلق الفكر الإعلامي الإسلامي من ركنين أساسيين هما: الأداء المهني؛ بحيث توظِّف الطاقات البشرية المسلمة توظيفاً سليماً لوسائل وأدوات الاتصال والإعلام، وثانيهما الأداء الوظيفي؛ بحيث يقوم النشاط الإعلامي بكافة وظائف الإعلام في الأخبار، والتربية، والتعليم، والتثقيف وغيرها، ويكون مستمداً من الرؤية الإسلامية للفكر الإسلامي، والذي يقوم على قاعدة أساسيّة وهي: الثبات في الأصول، والاجتهاد في الفروع، كما له جملة من الخصائص والسِّمات التي نحتاج إلى تعزيزها على أرض الواقع أهمها:

1- اعتماد مبدأ المبادرة، والحوار، والتفاعل مع الآخر بالاعتماد على الرصيد الإسلامي المعرفي والذي يقود في النهاية إلى الإقناع بالحسنى.

2- الاعتماد على المنهج الوسطي الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، ومن هنا تأتي أهمية الفكر الإعلامي، وانتقاله عبر الوسائط المختلفة وخصوصاً الانترنت.

التشريعات الإعلامية الإسلامية وصلتها بحرية الرأي والتعبير:

تعد حرية الرأي والتعبير- في المنظور الإسلامي - من الحقوق المشروعة التي تتسق مع الفطرة الإنسانية التي فطر الله (عز وجل) الناس عليها، وهي أيضاً ضرورة شرعية لاستقامة الحياة بميزان الحرية والحق والعدل، ويقصد بحرية التفكير والتعبير: أن يكون للإنسان الحق في أن يفكر تفكيراً مستقلاً في جميع ما يكتنفه من شؤون وما يقع تحت إدراكه من ظواهر، وأن يأخذ بما يهديه إليه فهمه ويعبر عنه بمختلف وسائل التعبير[10]. وهو ما ينطبق على حرية الرأي والتعبير؛ وينبغي أن تقوم هذه الحرية على المعلومات الصحيحة، والحقائق الثابتة؛ وذلك حتى تكون الآراء ناضجة ومفيدة للمجتمع.

وقد أقر الإسلام هذا الحق في أوسع نطاق، ويتمثل ذلك في التالي[11]:

1- منح الإسلام كل فرد الحق في النظر والتفكير، وإبداء رأيه عن أي طريق شاء.

2- هذا المبدأ الجليل سار عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وسار عليه الخلفاء الراشدون من بعده، فقد كانت حرية الرأي - في عهدهم جميعاً - مكفولة ومحاطة بسياج من القدسية.

3- إن العمل بهذا المبدأ ظل مراعىّ في عهد بني أمية وصدر بني العباس؛ فما كان الخلفاء في هذين العصرين ليحاربوا إلا الآراء التي يعتقدون أنها تهدر سلامة الدولة أو تنشر الفتنة بين الناس.

ويرى العديد من علماء الإسلام أن حرية التعبير في الإسلام هي فريضة على الحاكم والمحكوم معاً، فالحاكم مطالب بتنفيذها عن طريق الشورى، وعن طريق تحقيق العدل والنظام القضائي المستقل، لنشر التعليم، وتحقيق الاكتفاء الاقتصادي وغيرها من الوسائل التي تجعلها ممكنة؛ بحيث لا تخاف الرعية من ظلم أو فقر أو تهميش إذا مارستها، والمحكوم مطالب بها(أفراداً وجماعات) في كل المجالات تجاه الحاكم وتجاه الآخرين، وبدون حرية التعبير وكل ما يؤدي إليها يحدث خلل في المجتمع الإسلامي[12].

والمسلم مطالب بعدم كتم الشهادة السياسية والاجتماعية والقضائية على حد سواء قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ سورة البقرة الآية 283.

وحرية التعبير في الإسلام ليست مطلقة بل هي مضبوطة بضوابط الإسلام، وهي الضوابط الأخلاقية، والضوابط العقدية، والضوابط الشرعية .

وعند قراءتنا لواقع وسائل الإعلام في العالمين العربي والإسلامي يلحظ وجود مفارقات بين النظرية والتطبيق، فوسائل الإعلام تكون مقيدة بالنظم والتشريعات التي تقرها النظم السياسية في عالمنا العربي والإسلامي. وهذه القيود تنطبق على وسائل الإعلام الرسمية والحزبية وحتى المستقلة، حيث تنشط – أحياناً – الرقابة البعدية أو القبلية فضلاً عن تعاظم دور الرقابة الذاتية التي عادة ما يكون النظام الاجتماعي والثقافة السائدة في المجتمعات العربية والإسلامية هو المسبب لها.

وفي مقابل ذلك نجد أن الحرية الإعلامية في المنظور الإسلامي تقوم تتويجاً لمبدأين أخذ بهما الإسلام المسؤولية والواجب. ويتلخص في حفز كافة القائمين بالاتصال على العطاء بلا حدود وتكريس إمكاناتهم ومواهبهم من أجل

نشر القيم الدينية وتدعيمها من ناحية، ومن ناحية أخرى تهيئة الظروف التي تجعل جمهور المستقبلين للرسالة الإعلامية يتلقونها دون تحفظ[13].

وهذا يمكن أن يعزز ثقة الأفراد والمجتمعات في أنفسهم فيصبحوا قادرين على مواجهة التحديات التي تواجههم بالإضافة إلى أهمية الحاجة إلى ثقافة مجتمعية تؤيد هذا الاتجاه، لا أن يقتصر الأمر على النظم والتشريعات القانونية بل لا بد أن يعزز روح القانون. وهذه مسألة تربوية تقع على العلماء والإعلاميين على حد سواء.

تأصيلية مستقبلية لتعزيز الفكر الإعلامي الإسلامي تجاه حرية الرأي والتعبير:

الحوار مع الآخر:

إن السبيل الفعال لتعزيز قيم حرية التفكير والرأي والتعبير بين أهل الاختصاص في الفكر والإعلام في الإسلام خاصةً مع نظرائهم في الغرب هو الحوار، باعتبار أن الحوار هو منطق العقلاء وهو النهج الذي قامت على أساسه الحضارات ولاسيما الحضارة الإسلامية.

ويمكن تعريف الحوار في اللغة والاصطلاح على النحو التالي:

أصل الحوار في اللغة من الحَوْرُ: الرجوع عن الشيء وإِلى الشيء، والتَّحاوُرُ: التجاوب[14]. ويعرف الحوار في الاصطلاح بأنه: تبادل للرأي والفكر بين طرفين أو أطراف وفق ضوابط محددة لدوافع وأغراض مختلفة[15].

ويتضح من ما سبق أن الحوار يعنى بتبادل المعلومات والأفكار لإغراض وأهداف نبيلة وهذا الضابط هو ما قام عليه الشارع الحكيم واستلهم منه أهل العلم في دعوتهم إلى الله تعالى.

والحوار في القرآن الكريم يأتي في صور وأشكال عديدة، منها: الحوار بين شخصين يتبادلان أطراف الحديث بهدوء، ولا يتعصب أحد لرأيه. وقد ورد بهذا المعنى في ثلاثة مواضع في القصص القرآني وهي:

1) قال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ سورة الكهف الآية 34. أي: وكان لصاحب الحديقتين ثمر وأموال أخرى، فقال لصاحبه المؤمن، وهو يحاوره في الحديث، والغرور يملؤه: أنا أكثر منك مالا وأعز أنصارًا وأعوانًا[16].

2) قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾ سورة الكهف الآية 37. أي بمعنى: قال له صاحبه المؤمن، وهو يحاوره واعظاً له: كيف تكفر بالله الذي خلقك مِن تراب، ثم مِن نطفة الأبوين، ثم سَوَّاك بشراً معتدل القامة والخَلْق؟ وفي هذه المحاورة دليل على أن القادر على ابتداء الخلق، قادر على إعادتهم[17].

3) قال تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ سورة المجادلة الآية 1. ومعنى الآية: أن الله قد سمع قول خولة بنت ثعلبة التي تراجعت في شأن زوجها أوس بن الصامت، وفيما صدر عنه في حقها من الظِّهار، وهو قوله لها: "أنت عليَّ كظهر أمي"، أي: في حرمة النكاح، وهي تتضرع إلى الله تعالى؛ لتفريج كربتها، والله يسمع تخاطبكما ومراجعتكما. إن الله سميع لكل قول، بصير بكل شيء، لا تخفى عليه خافية[18].

إن الغاية الأساسية التي يقوم عليها الحوار هي الدعوة . وهذا يقود إلى سؤال مفاده هل الإعلامي المسلم في عالمنا المعاصر، وهو يقدم رسالته الإعلامية أو هو يحاور من يقابله سواء أكان ذلك مسلماً أو غير مسلم يقوم على منطلقات دعوية ؟ أم أن المنطلقات من دافع الفضول؟

إذا كانت الإجابة بأنه لا يقوم على منطلقات دعوية فإن الأمر يتطلب إعادة النظر في البناء الفكري للإعلامي المسلم في العالم المعاصر من حيث

الإعداد النفسي والاجتماعي والثقافي وفق النهج القرآني، ومن ثم السير على النهج القرآني في إتباع أصول ومناهج وقيم وآداب الحوار.

أما مسألة الهداية فهي من الله تعالى وما علينا إلا أن نأخذ بأسباب الهداية قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ سورة القصص الآية 56.

أي إنك –أيها الرسول– لا تهدي هداية توفيق مَن أحببت هدايته، ولكن ذلك بيد الله يهدي مَن يشاء أن يهديه للإيمان، ويوفقه إليه، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه.

وقد تعددت الدراسات والأبحاث التي تشير إلى منهج الحوار في القرآن الكريم؛ لكن يرى الباحث أن الحوار في المنظور القرآني يتحدد حسب نطاق المنهج وأهدافه، وفي هذا الصدد يمكن الحديث عن منهجيتين وهما[19]:

أولاً / المنهجية العامّة للحوار في القرآن الكريم:

1. **الشمول والتنوّع:** إنّ القرآن الكريم لم يقتصر في حواراته على طرح قضيّة معيّنة وكيفية معالجتها، أو نوع معيّن كالعقيدة وحدها، أو العبادات أو المعاملات، بل شمل جوانب الحياة كلها. وهذا يدلل على أنّ الحوار في القرآن كان غرضاً أساسيّاً وأسلوباً ناجحاً في تحقيق أغراضه الشاملة لكل جوانب الإصلاح فرديّة كانت أو جماعية.
2. **إظهار الحجة وإقناع العقل:** إن القرآن الكريم ينطلق في حواره إلى إبراز الحجة والمنطق وإقناع العقل بالعلم والبرهان، ويدعوا إلى التحاور والجدال بالحكمة والموعظة الحسنة قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ سورة النحل الآية 125.

3. اعتماد القرآن في محاوراته على العقل المجرّد: ونلمس هذا الجانب من خلال تأمّلنا في الأسلوب القرآني للحوار؛ إذ يعتمد أثناء المحاورة على العقل المجرّد دون التأثر بأي عامل آخر، أو مؤثر خارج المحاورة وهذا أقصى ما يمكن أن يطلبه أو ينتظره مفكر يدّعي الحريّة في فكره أو باحث يدّعي التجرّد من التعصّب والانحياز، والدّليل على ذلك حوار إبراهيم عليه السّلام مع المشركين من قومه الذين كانوا يعبدون الكواكب؛ إذ افترض أنّه يعبدها مثلهم فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ67 فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ77 فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ87﴾ سورة الأنعام الآيات 67 و77 و87.

المنهجية الخاصّة للحوار في القرآن الكريم:

1. منهج القرآن لكلا الطرفين:

أ. **حرية الفكر:** يدعو القرآن الكريم المتحاورين إلى حرية الفكر في بداية حوارهم، يرافقه ثقة المحاور بشخصيته الفكرية المستقلة، لذا أمر الله رسوله أن يحقق ذلك ويوفره لمحاوريه:

قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾سورة الأعراف الآية 188.

ب. طرح المنهج الفكري: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ سورة البقرة الآية 170. فأول ما يُناقش فيه هو المنهج الفكري عندما يمتلك أطراف الحوار الحريّة الكاملة، وذلك قبل المناقشة في طبيعة الفكر وتفاصيلها في محاولةٍ

لتعريفهم بالحقيقة التي غفلوا عنها، وهي أن القضايا الفكرية لا ترتبط بالقضايا الشخصية فلكل مجاله ولكل أصوله التي ينطلق منها.

ج. مناقشة الأطراف عند الأجواء الهادئة: اعتبر القرآن اتهام النبي صلى الله عليه وسلم بالجنون خاضعاً للجو الانفعالي العدائي لخصومه؛ لذلك دعاهم إلى الانفصال عن هذا الجو والتفكير بانفراد وهدوء قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ سورة سبأ الآية 46.

د. التأكيد على استقلالية كل من المتحاورين ومسؤوليته عن فكره: قبل الانفصال بين المتحاورين يتم التأكيد على استقلالية كل ومسئوليته عن نفسه ومصيره. قال تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ134 قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ135﴾ سورة الأنعام الآيات 134-135 .

ه. عدم تتبع الأخطاء الناتجة عن الانفعال أثناء الحوار: يدعو القرآن الكريم المتحاورين على أن لا يُتَابَعَ أحدهم الآخر على ما بدر من إساءات أثناء الحوار، وليكن العفو والصبر أساساً وخلقاً في التعامل ولاسيّما مع الجاهلين. قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ سورة الأعراف الآية 199.

و. ختم الحوار بهدوء: إذا سار الحوار جادّاً وفق هذا المنهج من قبل جميع الأطراف؛ فلا بد أن يصلوا جميعاً إلى ما التزموا به في بداية الحوار من الرجوع إلى الحق وتأييد الصواب، فإذا رفض المحاور الحجج العقلية كأن لم يقتنع بها؛ فإنه بذلك يمارس حقاً أصيلاً كَفِلَه له رب العزة، وسيكون مسئولاً عن ذلك أمام الله تعالى. وفي هذه الحالة ينتهي الحوار بهدوء كما بدأ دون حاجة إلى التوتر والانفعال. قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ سورة القصص الآية 55.

2. منهج القرآن العظيم تجاه الخصم:

أ. التسليم بإمكانية صواب الخصم: ولا بد لانطلاق الحوار من التسليم الجدلي بأنَّ الخصم قد يكون على حق، فبعد مناقشة طويلة في الأدلة على وحدانية الله تأتي هذه الآية: قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ سورة سبأ الآية 24. فطرفا الحوار سواء في الهداية أو الضلال، ثم يضيف على الفور في تنازل كبير بغية حمل الطرف الآخر على القبول بالحوار: ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. سورة سبأ الآية 25 فيجعل اختياره هو بمرتبة الإجرام على الرغم من أنه هو الصواب، ولا يصف اختيار الخصم بغير مجرد العمل، ليقرر في النهاية أن الحكم النهائي لله: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ سورة سبأ الآية 26.

ب. حماية الخصم أثناء الحوار: فمهما يبلغ الشخص المحاور من ضعف في رأيه أو في شخصيّته أو ركاكة حجته نجد الخصم في محاورة القرآن الكريم مصوناً من أيّ أذى أو تسفيه أو تحقير أو سخرية أو بذاءة أو فحش قال تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ سورة الحجرات الآية 11. حتى يصدر الحكم عليه.

ج. إظهار المساواة للخصم: وهذه أرفع درجة من سابقها، إذ نلحظ من محاورات القرآن الكريم إشعار الخصم بمساواته مع محاوره وبكل وضوح أثناء المحاورة، وهذا أقصى ما يمكن من عدالةٍ تُمنح للخصوم حين يشعر الخصم أنّه مساوٍ لخصمهِ، على الرّغم من أنّ الملابسات كلها توحي بغير هذه المساواة. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ سورة القصص الآية 85. وبالتأكيد أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم على حق ومجادليه على باطل، بيدَ أنّ الله تعالى أراد أن يوجّه

نبيّه إلى افتراض التجرّد من ذلك وإشعار الخصم بالمساواة معه في صورة افتراض أنّه لا يعلم أيّهما على الهدى أو الضلال.

د.التعهد والإلتزام بالحق: وهذا لا يكفي مجرد التسليم الجدلي بإمكانية صواب الخصم، بل لا بد من التعهد والالتزام بإتباع الحق إن ظهر على يديه، حتى ولو كان التعهد بإتباع ما هو باطل أو خرافة إذا افتُرِض ثمّ ثبت وتبين أنه حق: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ سورة الزخرف الآية 81.

ه. الرفق بالمهزوم: عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقول: «من يحرم الرّفق يحرم الخير كله»[20]. إذا ما قرأنا القرآن وتتبعنا محاوراته لم نجد فيه محاورةً واحدةً أخذت المنتصر فيها نشوة الانتصار فحملته على الكبرياء والنّيل من شخصية الخصم نفسه أو الاستهزاء به أو السطو عليه، بل يرفق دائماً بالخصم ويحميه من كلّ أذى حتى تنتهي المحاورة ثمّ تعلن النّتيجة؛ وذلك لأنّ نتائج محاورات القرآن هي الدّعوة إلى الدّين نفسه، أمّا الخصم ذاته فنجد أنّ محاور القرآن لا تهدف إلى النّيل منه أو إيذائه حتى بعد إعلان خطئه وسوء موقفه خلال المحاورة، ولعل أول نقطة تمثل البداية الحقيقية هي توظيف مقاصد حرية الرأي والتعبير في المنظور الإسلامي والتي تتضح إجمالاً في التالي[21]:

1- تظهر حرية الرأي جلية بما قرره الإسلام في حق الاجتهاد في أمور الدين والدنيا . وهو بذل الجهد في معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها، مع فتح باب الاجتهاد على مصراعيه للعلماء.

2- تظهر أيضاً في باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وفي مراقبة الحكام، ونصحهم، ومشاركتهم في اتخاذ القرار بالشورى دون استبداد، أو تحكم أو تسلط مع ممارسة الحرية السياسية، وهذه الحرية لا تقوم على إطلاقها بل

هذبها الإسلام وفق تصور إسلامي رشيد، وذلك وفق ضوابط منهجية لا يستقل كل ضابط منها عن الآخر بل تتداخل وتتكامل جميعاً.

وتتمثل الضوابط المنهجية لحرية الرأي في التصور الإسلامي في التالي[22]:

أولاً: ضوابط أسلوبية: والمراد بها: إتباع طرائق وأساليب معينة تؤدى معها حرية الرأي نتائج أكثر إيجابيه، فلكي يؤتى الرأي بوصفه وسيلة تواصل، وآلية بلاغ – ثماره المرجوة لابد من مراعاة حسن الأسلوب، والتلطف في الخطاب، واحترام رأى (الآخر)، وذلك باجتناب الألفاظ القاسية، والعبارات الجافة، ومراعاة أدب القول، والإعراب عن إيجابيات الرأي الآخر، وإحسان الكلام عند النقد البناء الذي يرجى منه الإسلام، وتحقيق المصلحة العامة، والتحمل في إبدائه بكل الكلمات الطيبة المرنة التي تفتح القلوب على الحق، وتقرب الأفكار إلى مفاهيمه وأحكامه، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ سورة النحل الآية 125.

ثانياً: ضوابط خلقية: فالكلمة هي الدائرة التي يلتقي في مركزها تفاهم بين الناس بعضهم مع بعض؛ لذلك فإن الإسلام يفترض في الكلمة: الإخلاص، والصدق، والواقعية، والجدية، وسلامة القصد، وعدم تحريف الكلام أو إخفاء الحقيقة، وحفظ السمعة، وصيانة الأعراض. فكل أولئك عوامل تتضافر في إنجاح الرأي، وتحقيق الغاية المتوخاة منه. والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ سورة الإسراء الآية 53.

ثالثاً: ضوابط علمية: والمراد بها مجموعة من الأساليب، والأدوات والخطوات المنهجية التي تمكننا من الوقوف على الحقيقة، ومنها:

1- **التحري في المعطيات:** وذلك من خلال التأكد من فهمها وتمثل حقيقتها قبل بناء الرأي عليها وإذاعته؛ مما يجعل المرء واعياً لما يطرح من فكر؛ فيأتي رأيه متصفاً بوضوح الرؤية وقدرة الحجة، ووداعة الكلمة.

2- **الأهلية لتناول الموضوعات:** وذلك بأن تكون لدى الإنسان القدرة على التعبير عن الرأي، عارفاً بما يلزم عنه، وهذا معناه: أن يتحقق للإنسان في الرأي الذي يعبر عنه، أمران، هما: العلم والإتقان، وإلا كان صادراً في رأيه عن جهل وضلال، فليس من حق أي إنسان أن يتكلم في موضوع يجهله، أو أن يبدد طاقاته السمعية والبصرية والعقلية في أمور لم تتوفر لها الأدلة العلمية الكافية، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ سورة الإسراء الآية 36.

3- **الموضوعية والإنصاف:** وذلك بمعنى أن يتحرر الإنسان من العوامل الذاتية والخارجية في تناوله الآراء، والتزام الصدق والأمانة، والبعد عن الهوى، والبعد عن التعميم، وهذا معناه: الرؤية المتوازنة في رصد النصوص والأوضاع المحيطة بالأشياء، وكذلك الرجوع إلى الصواب إذا تبين للمرء قد أخطأ في رأيه فالرجوع إلى الحق فضيلة.

إن تناول هذه الضوابط بذا التفصيل مرده إلى أهمية التوضيح بما يتمتع به التراث الإسلامي من رصيد معرفي زاخر يكون مرتكزاً لأي فكر، أو تخطيط، أو نشاط إعلامي بالإضافة إلى أنه مرتكز ذاتي يرتكز عليه المحاور المسلم في تفاعله وحواره مع غير المسلم، لاسيما الغربيين الذين تختلف ثقافاتهم وبيئاتهم عن عالمنا الإسلامي.

تطوير الخطاب الإعلامي:

يعد الحديث عن تعريف مانع وجامع لمفهوم الخطاب الإعلامي أمراً في غاية الصعوبة، ويرجع ذلك إلى تعدد المدارس المعنية بتحليل الخطاب، فضلاً

عن أن مفهوم الخطاب الإعلامي يخضع للتوجهات الفكرية والعقدية لكل مجتمع، والخطاب الإعلامي هو ممارسة اجتماعية متغيرة، ويتعرض دائماً للتغير والتطور، ولكن الأمر الأكثر أهمية هو أن نفهم أن الخطاب الإعلامي ليس شيئاً واحداً بل هناك عدد من الخطابات الإعلامية المتصارعة أو المتعاونة، كما أن هناك تداخلاً أو تعايشاً بين أكثر من خطاب[23]. وببساطة يمكن تعريف الخطاب الإعلامي بأنه الأداة أو الوسيلة أو الطريقة التي يعبر بها الفرد أو المجموعة أو المؤسسة أو المنظمة عن نفسها وتوصيلها للآخرين؛ بحيث تكون مفهومة وذات معنى ودلالة وتؤدي الغرض المقصود منه.

إن الحاجة إلى خطاب إعلامي قد أملته العديد من الظروف والمتغيرات المحلية والإقليمية والدولية، ومن أهمها:

1. قدرة وسائل الإعلام الغربية المعادية للإسلام والمسلمين: وتتمثل في التالي[24]:
   أ. العناوين المثيرة التي تبعث الخوف والقلق لدى الرأي العام الأوروبي.
   ب. التكرار والاجترار المستمر خاصة في أحداث العنف والربط بين الإسلام والإرهاب.
   ج. الضرب على وتر الأحاسيس الإنسانية باستخدام صور وعبارات مؤثرة نفسياً وموجهة بالمعنى الذي تسعى هذه الوسائل لإيصاله، وباتخاذ الموقف الذي تطمح إليه جاهزة، ومستقلة، كذلك المصلحة الشخصية والقومية بتصوير المسلمين والإسلام على أنه الخطر والعدو.
   د. استمرار الأحداث والسلوكيات الخاطئة لبعض المسلمين وتصويرها على أنها من صميم الإسلام نفسه بغض النظر عن عرض الإسلام بوصفه ديناً يحفل بقيم ومبادئ ومثل عليا سامية.

2. تغير نظرة الإعلام والاتصال في الغرب للإسلام والمسلمين قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م وبعدها: وتتمثل هذه النظرة في التالي[25]:

أ. الإعلاميون يتأثرون بالمجتمع المحيط وتكون آراؤهم نحو القضايا والسياسات ناتجة من هذه التأثيرات؛ لذا لا يتوقع منهم حياداً حقيقياً وعملهم بنحو تحقيق مصالح مجتمعاتهم وهم يجدون أنفسهم مضطرين لمسايرة المجتمع بدلا من التزامهم بمهنيتهم.

ج. الصورة النمطية في الغرب تؤثر على نظرة الإعلام نحو الإسلام؛ لأن الإعلام فيه جانب انطباعي؛ والإعلامي لا يعزل نفسه عن بيئته ولذلك يتعاملون مع قضايا المسلمين بنمطية تعكس النظرة العرقية المتأصلة عندهم للمسلمين والإسلام والتي غذتها الكنيسة والاستعمار وأصبحت جزءاً من الضرورة الراسخة.

د. الانترنت سيجسر الفجوة الإعلامية ويمكن أن تقتصر المسافة بين الغرب والمسلمين بدلاً من مائة عام إلى شهور، أو حتى أيام ولعل التكنولوجيا تمثل رحمة للمسلمين والعالم.

ه. السياسات في الغرب تؤثر في الأجهزة الإعلامية بشكل سلبي؛ لأن هؤلاء القوم يعرفون كيف يمكن أن يحققوا أهدافهم، ويخططون بشكل جيد لتحقيق أهدافهم، ويولون ذلك العناية الكافية.

و. الإعلام الغربي لن يسهم في إدماج المسلمين في المجتمعات الغربية بل سيوسع الفجوة بينهم.

ز. نظرة الغربيين نحو الإسلام والمسلمين السالبة ستتغير مع الزمن، وهناك تغيير هنا وهناك لكن الأمر يتوقف على المسلمين ومدى التزامهم وحرصهم على تغيير هذه الصورة النمطية.

إن هذا الخطاب المأمول يستمد مقوماته من خصائص الخطاب الإسلامي في عصر العولمة وتتمثل هذه الخصائص في الآتي[26]:

الخاصية الأولى: خطاب يؤمن بالوحي ولا يغيب العقل: فهو يؤمن بالوحي باعتباره أساس كل دين سماوي. وهو يحترم العقل بعد ذلك، لأنه أداته الفذة في معرفة الكون من حوله، كما يوظفها تثبيت الإيمان قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ سورة فصلت الآية 53.

الخاصية الثانية: خطاب يحرص على المعاصرة ويتمسك بالأصالة: وذلك من خلال العقلية العلمية النقدية، والتجديد الذي يعنى مراعاة تغير الظروف، مع عدم التنكر– بالضرورة– للقديم، والمرونة هي ثبات الأهداف وتطور الوسائل.

الخاصية الثالثة: خطاب يدعو إلى الروحانية ولا يهمل المادة: أي أنه يدعو إلى (الروحانية) التي هي من جوهر الدين ولبه، ولكنه لا يهمل الجانب المادي من الحياة.

الخاصية الرابعة: خطاب يتبنى العالمية ولا يغفل المحلية: أي أنه يتبنى عالمية الدعوة والتوجه وإن لم يغفل الجوانب المحلية والإقليمية.

الخاصية الخامسة: خطاب يستشرف المستقبل ولا يتنكر للماضي: المتدبر للقرآن الكريم يجده منذ العهد المكي يوجه أنظار المسلمين إلى الغد المأمول، والمستقبل المرتجى. قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ271 وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ371﴾ سورة الصافات الآيات 172 و172.

الخاصية السادسة: خطاب يتبنى التيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة: وترجيح التيسير على التعسير في الفقه على النحو التالي:

أ. أن الشريعة مبناها على اليسر، ورفع الحرج، والتخفيف، والرحمة والمسامحة.

ب. أن الناس في هذا العصر أحوج ما يكونون إلى التيسير عليهم، والتخفيف عنهم.

ج. أن الفرد بوسعه أن يشدد على نفسه إن شاء، ويأخذها بالعزائم إن كان من أهلها، مع أن الأولى هو الاعتدال والتوازن.

الخاصية السابعة: خطاب ينادي بالاجتهاد ولا يتعدى على الثوابت: إن باب الاجتهاد باب فتحه رسول الله صلى الله عليه وسلم لفهم الشرع الشريف، فلا يملك أحد أن يغلقه. المهم أن يدخل هذا الباب من كان أهلاً له ، ومن يملك الشروط التي اتفق عليها العلماء لمن يريد الاجتهاد.

الخاصية الثامنة: خطاب ينكر الإرهاب الممنوع ويؤيد الجهاد المشروع: إن الإرهاب غير المشروع هو الذي يروع الآمنين، ويأخذ الأبرياء بذنب غيرهم، ولا يبالي سفك من دماء، وما دمر من منازل، ولا ما استحل.

الخاصية التاسعة: خطاب يحفظ حقوق الأقلية ولا يحيف على الأكثرية: أي أنه يحرص كل الحرص على حقوق الأقليات الدينية ويحفظ لها كيانها، ويصون شخصيتها الدينية ويرعى حرمات معابدها وشعائرها، ولا يتدخل في هذه الشؤون الخاصة بها؛ رعاية لمشاعرهم وأحاسيسهم.

الخاصية العاشرة: خطاب ينصف المرأة ولا يجور على الرجل: جعل الإسلام للمرأة حق طلب العلم كالرجل، بل الواقع أنه اعتبر طلب العلم فريضة عليها . كما أن من حقها أن تجير من استجارها، ولم يغفل التراث الإسلامي توضيح أشكال الخطاب الموجهة لهؤلاء لاسيما أهل الكتاب وغيرهم من أهل الملل الأخرى، وتتمثل هذه الأشكال في ثلاث أنماط من الخطاب وهى[27]:

أولاً: خطاب القدوة: وهو أول خطاب يجب أن يوجه إلى الناس من أصحاب الدعوات وحملة الرسالات، ومن اتبعهم بإحسان، وإلا فسيبقى الناس في حاجة شديدة لهذا الخطاب، مما وجه إليهم من خطاب آخر، إن جمُل أو كمُل.

ثانياً: خطاب المجادلة: إن كانت بعض الفئات من البشر تفتح قلبها القدوة الحسنة فتسارع إلى الإيمان وتشهد بالتوحيد، فإن فئات أخرى تؤثر فيهم المجادلة بالحسنى، ويلزمهم الحوار بالتي هي أحسن ؛ فتنقاد عقولهم إلى الحق لتسليم القلوب لله رب العالمين.

ثالثاً: خطاب المجاهدة: حال المناهضين للفطرة من أصحاب الجاه والسلطات والمال، أنهم لا يتركون الدعوة تمضى، ولا يخلون بين عامة الناس وبين اختيارهم بحرية، فيقفون في وجه الدعوة، يقاومون أهلها بكل وسيلة، ويمنعون الناس أن يسمحوا أو يقربوا أو يختاروا، فعندئذ لا بد من إزاحة هذه العوائق من على طريق الدعوة، فيتحول خطاب المسلم من المشاكل والاستحسان، ومن الحوار والجدال إلى خطاب السيوف والرماح والنبال، ومن جهاد الجدال إلى جهاد القتال، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله. وبعد أن تزاح عوائق سماع الدعوة، وتزول الفتنة الواقعة أو المتوقعة عن الدين، يعود خطاب القدوة وخطاب المجادلة.

إن العديد من أشكال الخطاب تتوقف عند طبيعة الموقف، والظروف المحيطة به ويبقى خطاب القدوة والمجادلة هو السبيل الفعال عندما تكون وسائل العلم والمعرفة متاحة، والبيئة مهيئة للتعبير بحرية دون قوة مادية تسلب النفس البشرية فطرتها التي قامت على الحرية وعلى فطرة الله التي فطر الله الناس عليها.

ولتطوير الفكر الإعلامي الإسلامي إزاء حرية الرأي والتعبير لا بد من التأكيد على مسألة المبادرات والرؤى خاصةً في التعامل مع الغرب، وذلك لجملة من الاعتبارات أهمها:

1. تنامي الإسلام في الغرب بشكل مضطرد أكثر من ذي قبل.

2. أغلب المجتمعات الغربية من المجتمعات المتسامحة، والمتصالحة مع غيرها.
3. أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وظهور بعض البلاد الغربية إعلامياً، وسياسياً من خلال الرسوم المسيئة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وغيرها من الأحداث، والأزمات، جعل من الضرورة بمكان أن يكون للجاليات المسلمة في الغرب فكر إعلامي واعٍ ومستنير يدرك الواقع ويخطط للمستقبل، وفي اعتقادي أن النظرة المستقبلية للفكر الإعلامي الإسلامي تستوجب رؤية شاملة وفق العديد من المرتكزات، ومن أهمها:

أولاً: الحاجة إلى القيادة الإعلامية التربوية الرشيدة:

هذه القيادة هي التي تكون القدوة للآخرين، والتي يجب أن تتأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ سورة الأحزاب الآية 21. وهي أيضاً التي تقدم نموذجاً في التفوق الحضاري مع غير المسلمين بهدف الهداية، وإقامة الحجة، وهذا لا يتأتى إلا بالتالي:

1. مراعاة حسن الأسلوب، والتلطف في الخطاب، واحترام رأي (الآخر) وذلك باجتناب الألفاظ القاسية، والعبارات الجارحة، ومراعاة أدب القول[28].
2. التسامح الديني، حيث إنّ الإسلام ضمن حرية الاعتقاد للمسلمين أولاً، ومنع الإكراه في الدين ثانياً، وقرر التسامح الديني مع سائر الأديان مما لا يعرف التاريخ له مثيلاً، ويظهر ذلك في مبادئ حرية الاعتقاد لغير المسلم، واحترام بيوت العبادة، والمعاملة الإنسانية، والمالية بين المسلمين وغيرهم[29].
3. توضيح أحكام شرعية مهمة وهي تحريم قتل الإنسان، وتحريم الانتحار، وتحريم الأذى بالقتل، وتحريم المبارزة، وتحريم الإجهاض، وإباحة المحظورات للحفاظ على الحياة، وحرمة إفناء النوع البشري[30]. كما أن من

أولويات هذه القيادة إعداد وتدريب قيادات تربوية، وإعلامية سواءً أكان ذلك في الغرب، أم من خلال التواصل في العالم الإسلامي، وأن تكون هناك آليات، ووسائل لتطوير مثل هذه القيادات، والقيادة التربوية الرشيدة المطلوبة هي التي تقوم بالتالي[31]:

1. القيام بإحداث التغيير في المناهج الحالية والأخذ بمنهج التربية الإسلامية.
2. توجيه التعليم وقيادته إلى الهدف المنشود ومراقبة عملية التنفيذ توجيهاً ومحاسبة ونتائج، ما توفرت الإمكانات المادية والبشرية.
3. الإيمان بالأهداف والوسائل التي تسعى لتحقيقها.

إنّ عملية الإعداد لمثل هذه القيادات تتطلب التدريب النظري، والعملي المستمر، فضلاً عن الإعداد التربوي لتلك القيادات، بحيث تكون مكملة بالنظريات العلمية في مجال التربية، وملاءمتها لواقعها، وقبل كل شيء أن تكون محصنة بالتثقيف الإسلامي الذاتي.

إن الواقع الغربي حالياً يشهد عودة إلى الدين رغم علمانيته، والتربية والتعليم والإعلام حقول مهمة، لابدّ للجاليات المسلمة أن تركز عليها في خططها ومشروعاتها.

ثانياً: أهمية الحاجة إلى قيادة إعلامية فكرية إيجابية:

إن توفر مثل هذا النوع من القيادة يقوم على مجموعة من الاعتبارات أهمها[32]:

1. أن سفهاء الغرب لا يدركون حجم الجريمة التي يديرونها، ولا يدرون مدى الجناية التي يصبونها على البشرية كلها عندما يسعون لهدم الأمل الباقي لأهل الأرض ممثلاً في هذا الدين العظيم وهذا النبي الكريم صلى الله عليه سلم.
2. أن حاجة الأمة إلى قيادة فكرية إيجابية يعني أن تتم صياغة فكر الأمة، وترتيب أولوياتها، وتحديد ملامح أصدقائها وأعدائها، وبذلك تدرك من جديد

كيف تعبد الله سبحانه وتعالى؟ وكيف تحسن الدعوة إليه على بصيرة، كما أنّ القيادة الإعلامية الفكرية الإيجابية، هي التي تقوم بعنصر المبادأة والمبادرة في فتح قنوات الاتصال والحوار مع المسلم وغير المسلم؛ بحيث يكون الحوار هادئاً ومقنعاً ويستدل بالأدلة، والشواهد، واحترام آراء الآخرين، وكرامتهم الإنسانية؛ فهي أي: القيادة الإعلامية لا تنتصر لذاتها، ولا تتعامل بردود الأفعال، وتسعى لتحقيق نوع من التفاعل والانسجام دون أن يكون ذلك على حساب الدين؛ أي أن تقدم رؤية متوازنة في كل شيء.

ثالثاً: الحاجة إلى الإعلامي الاستراتيجي:

الإعلامي الاستراتيجي هو ذاك الإعلامي الذي تكون له رؤية ورسالة وأهداف وبرنامج عمل طويل المدى، ويقوم بتوظيف الوسائل والأدوات الإعلامية؛ ويقوم بالمبادرات باستمرار وبإشراك الآخرين في التفكير العلمي والتخطيط العملي وإنفاذ المشاريع الدعوية والإعلامية.

وعند النظر إلى الواقع الإسلامي والدولي فإن الإعلامي الاستراتيجي الذي نرجوه يحتاج إلى بناء وإعادة تشكيل تكون فيه تنمية القدرات، والمهارات متسقة مع هم الدعوة، وبذا تصل الرسالة الإعلامية إلى غاياتها المنشودة. ومواصفات الإعلامي الاستراتيجي تكمن في التالي[33]:

1. أن تكون له القدرة على التفكير الاستراتيجي من منظور عالمي.
2. القدرة على قراءة البيئة الدولية وتحليلها.
3. تحديد الرسالة والأهداف الإستراتيجية.
4. القدرة على التنفيذ الاستراتيجي، والتنسيق، وإجراء التغيير الاستراتيجي.

إن الإعلامي الاستراتيجي لا يؤتي ثماره، إلا إذا أحكم الرؤية، والرسالة، والأهداف، وفي مقدمتها الإعداد الفكري والدعوي لأبناء الجيل الثالث

من الشباب إعداداً يؤهلهم لأن يكونوا الذراع الرئيس الذي تستند إليه الجاليات المسلمة في الغرب.

ويمكن الاستفادة من الدعاة والإعلاميين الذي نشطوا في العمل الإسلامي من خلال صلاتهم الأكاديمية، والمهنية، ونشاطهم البحثي، وكذلك من المؤسسات الإسلامية في العالم الإسلامي، بالإضافة إلى مراكز البحث العلمي في المجتمعات الغربية، وبتضافر الجهود يمكن أن تحقق الجاليات المسلمة في الغرب نجاحات في مجال الفكر الدعوي، والإعلامي، والاستراتيجي على المدى المتوسط أو البعيد.

رابعاً: السياسات الإعلامية:

لا يمكن أن يقوم أي نشاط فكري، أو إعلامي مستقبلي، إلا بتبني سياسات إعلامية واضحة المعالم، لذا على الجاليات المسلمة في الغرب، أن تنتهج نهجاً قويماً في إقرار السياسات الإعلامية وتنفيذها، وهذه السياسات تتمثل في القواعد التالية[34]:

1- التزام عرض الحقيقة: مادة الأخبار والإعلام هي الحقائق فى السياسة الإعلامية الإسلامية، و يأتي ذلك بأهلية المصادر؛ لذا كان الاهتمام بناقل الخبر اهتماماً كبيراً.

2- التزام الحرية: مفهوم حرية الإرادة الإنسانية، ينطوي على جوانب هي: حرية العقيدة، وحرية الفكر، وحرية الأداء الاجتماعي؛ لذا فإن مشروعية الفعل والتعرف الفردي يرتبط باعتبارات مهمة؛ فالحرية هي فرصة تعبير لمن يملك عطاءً حقيقياً في الفكر، والثقافة، والعلم.

3- الشمول: وهو شمول وسيلة، وشمول مجال، لم يدع الرسول صلى الله عليه وسلم وسيلة في زمانه دون الإفادة منها حتى بلغ الذروة فى البيان والبلاغ.

4- التوازن: إنّ النقد، وإبداء الرأي يكون بربط النقد بمقصد شريف كالتنبيه إلى وقوع خطر أو أية بلوى تكاد تعم، أو رجاء بمصلحة عامة، ومن ضوابطه مراعاة العدل في ذكر السلبيات، والموازنة بينهما، وفى الإنصاف ذكر المرء بما فيه من حق وباطل، وإن كان من الأعداء أو المخالفين.

الخاتمة: في ختام هذا البحث تم التوصل إلى النتائج التالية:

1/ إن حرية الرأي والتعبير حق شرعه الإسلام ودعا إلى الاستفادة منه في صلاح البشرية.

2/ إن التراث الإسلامي في مجال حرية الرأي والتعبير وتجديد الخطاب الدعوي والإعلامي كفيل بحل المعضلات والأزمات التي تعاني منها الإنسانية.

3/ نظرة الفكر الإعلامي الإسلامي تجاه حرية الرأي والتعبير يقوم على الوسطية والاعتدال.

4/ الإعداد النفسي والتربوي للإعلامي يسهم إيجاباً في تطبيق ممارسة حرية الرأي والتعبير مهنياً ووظيفياً.

كما تم التوصل إلى التوصيات التالية:

1/ ضرورة احترام المواثيق في مجال حرية الفكر والرأي والتعبير ولاسيما تلك المواثيق المبنية على احترام الأديان السماوية.

2/ ضرورة قيام معجم للمصطلحات الإعلامية والفكرية والإسلامية تلافياً للتناقضات والمجمعات العلمية التي تفسر مصطلحات مثل: حرية التفكير- حرية الرأي- حرية التعبير الهوية- الاندماج وغيرها بغير مدلولاتها الصحيحة.

3/ أهمية تشكيل خطاب إعلامي متزن تقوم به المؤسسات الإعلامية في العالم الإسلامي يخطط له الدعاة والعلماء والمفكرون وأهل الاختصاص، وذلك من خلال ما يستجد في العالم من أحداث أو قضايا.

4/ ضرورة عدم تعامل المفكرين والإعلاميين في العالم العربي والإسلامي والمؤسسات التي يتبعون لها على ردود الأفعال، بل لابد من أخذ زمام المبادرة أسلوباً وقائياً وتأثيراً للإقناع في آن واحد.

5/ قيام مراكز بحثية فكرية وإعلامية متخصصة في العالم الإسلامي في حوار الحضارات، ومراكز مماثلة للأقليات المسلمة في الغرب، وتفعيل نشاط المراكز القائمة لتعزيز التواصل المحلي والإقليمي والدولي.

6/ أهمية بناء حوار بين المسلمين في الغرب، والمؤسسات الأكاديمية والثقافية الغربية، والذي من شأنه تعزيز التعايش السلمي والتعاون الإنساني من خلال أخذ زمام المبادرة.

7/ التجديد في منهج وطرق ووسائل وأساليب الخطاب الإعلامي في المجتمعات الغربية وفق القيم الحضارية الوسطية الكلية؛ والبعد عن كل مواطن الخلاف التي تفرق بين المسلمين في الغرب، خاصة في المسائل الاجتهادية.

المصادر والمراجع:

القران الكريم.

السنة النبوية.

1- ابن منظور، لسان العرب، ط1، الجزء العاشر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1995م، ص307.

2- الإستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، الرباط، 1997م، ص47.

3- أحمد محمد أحمد الجلي، دراسات في الثقافة الإسلامية : المصدر. الأسس. الخصائص. التحديات، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، 2006م، ص24.

4- عبد السلام عطوة الفندي، الثقافة الإسلامية والقضايا المعاصرة: ملخص شامل ، ط1، دار البركة للنشر والتوزيع، عمان، 2005م، ص31.
5- المرجع نفسه، ص31.
6- عبدالعزيز أنميرات، مفهوم الفكر الإسلامي، نقلاً عنhttp:ennmirate.jeeran.com .
7- محمد سيد محمد، المسؤولية الإعلامية في الإسلام، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1983م ، ص36.
8- محمد منير حجاب ، الإعلام الإسلامي: المبادئ – النظرية – التطبيق، ط2، دار الفجر، القاهرة، 2003م، ص24-25.
9- على جريشة، نحو إعلام إسلامي: إعلامنا إلى أين ..؟ ط1، مكتبة وهبة، القاهرة ، 1989م، ص86-87.
10- علي عبد الواحد وافي، حقوق الإنسان في الإسلام، ط8، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الجيزة، أكتوبر 2004م، ص178.
11- المرجع نفسه، ص178.
12- حرية التعبير في الإسلام، الموسوعة الحرة ، http//ar.wikipedia.org/wiki.
13- محمد منير حجاب، مرجع سابق، ص80-81.
14- ابن منظور، لسان العرب، الجزء الرابع، دار صادر، بيروت، 2003م، ص264.
15- محمد الهادي وزين، أصول الحوار مع الآخر في القرآن الكريم، أوراق غير منشورة.

16- نخبة من العلماء ، التفسير الميسر ، ط2 ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، 1430ه – 2009م ص312 .

17- نخبة من العلماء ، مرجع سابق ، ص313 .

18- نخبة من العلماء، مرجع سابق، 557.

19- أحمد عبد الكريم شوكه الكبيسي، منهجيّة القرآن الكريم حول الحوار مع الآخر، أوراق غير منشورة.

20- صحيح مسلم ، كتاب الصلة والبر والآداب ، باب فضل الرفق ، رقم الحديث: 4701.

21- أحمد الريسوني وآخرون، حقوق الإنسان: محور مقاصد الشريعة ، كتاب الأمة، العدد 87، السنة الثانية والعشرون، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، أبريل، 2002م، ص110.

22- محمد عبد الفتاح الخطيب، حرية الرأي في الإسلام: مقاربة في التصور والمنهجية ، كتاب الأمة، العدد 122، السنة السابعة والعشرون، ط1، وقفية الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني للمعلومات والدراسات الدوحة، نوفمبر – ديسمبر 2007م، ص157-168.

23- محمد شومان، الخطاب الإعلامي: غموض المفهوم واختلاف أدوات التحليل، موقع الهدى للثقافة والاعلام www.siironline.org.

24- محمد بشارى، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، ط1، دار الفكر، دمشق، 2004م، ص154-155.

25- مختار عثمان الصديق، التصور الغربي للإسلام والمسلمين قبل وبعد الحادي عشر من سبتمبر: دراسة من منظور الإعلام والاتصال، حوار،

مجلة دراسات الإسلام والعالم المعاصر، عدد خاص، الخيول للطباعة ، الخرطوم، سبتمبر2009م ، ص47-51.

26- أحمد جوهر، الإعلام الالكتروني: واقع وآفاق، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع ، المنصورة، ص91-112.

27- عبد الله الزبير عبد الرحمن، من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق ، كتاب الأمة، العدد 56، السنة السادسة عشرة، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، مارس – أبريل 1997م، ص68-80.

28- محمد عبدالفتاح الخطيب، مرجع سابق، ص 157.

29- أحمد الريسوني وآخرون، مرجع سابق، ص 89 – 94.

30- المرجع نفسه، ص 104 – 105.

31- عباس محجوب، نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم، عالم الكتب الحديث، أربد، 2007م، ص100.

32- حمدي والي، الإسلام و التحدي الحضاري، ط1، مؤسسة شروق للنشر والتوزيع، المنصورة،2007م، ص65-67.

33- محمد حسين أبو صالح، التخطيط الاستراتيجي للدعوة والإعلام، بدون دار نشر، الخرطوم 2005م، ص 110-111.

34- عثمان أبوزيد، "مشكلات تأصيل النظام الإعلامي"، مجلة أبحاث الإيمان، العدد الثامن، الخرطوم، 1998م، ص55-59.